الملاحم

٢

سلسلة

شهداء الجزيرة

سيرة الشهيد

سلمان الصنعاني

هاني عبده مصلح شعلان

بسم الله الرحمن الرحيم

لم ولن أنسَ تلك الليلة التي جاءني فيها أحد الإخوة يخبرني أن هناك شخص يبحث عني .!!

كان وقت صلاة العشاء قد اقترب، ويدي تصافح يد ذلك الأخ الذي لم أكن أعرفه جيداً من قبل، وبعد أن تحدثنا قليلاً ودار بيننا حوار قصير، اتضح لي أنه واحد من ثلاثة إخوة جاؤوا لمقابلتي. وبعد صلاة العشاء خرجنا من المسجد نقطع المسافات داخل الحي مشياً على الأقدام، نتحدث في ذلك الموضوع الذي جاؤوا من أجله.

إنه الإعداد والجهاد، يريدون طريقاً في أسرع وقت، وبأي طريقة للذهاب إلى أفغانستان للإعداد والجهاد.

كانوا يسألون ويستفسرون عن كل شيء من أمور السفر، والوضع في أفغانستان، وغير ذلك، وفي تلك الأثناء لفت نظري أن أحدهم كان لا يرفع النظر إلى أحدٍ منّا أبداً، ولا يتلفظ بالكلمة الواحدة إلَّا بعد أن يصمت الجميع؛ لقد أعجبني أدبُهُ وسَمْتُهُ.

بعد ذلك تفرقنا على موعد آخر اتفقنا عليه في اليوم التالي؛ على أن يبدؤوا هم باستخراج الجوازات وتجهيز الأوراق الخاصة بالسفر، وأن أقوم أنا بالبحث عن الطريق.

ومع مرور الأيام وكثرة المشاغل، بدأ الحماس يقل، والعزم يضعف، والعدد يتقلص، من ثلاثة إلى اثنين، ومن اثنين إلى واحد، ولكن عزم ذلك الواحد، وإصراره على السفر للإعداد والجهاد في سبيل الله، وصبره على طول الفترة –ما يقارب السنة– جعل العدد يرتفع إلى اثنين؛ فقد عزمت على الذهاب معه، وأصبح بيننا أخوة في الله، أسأل الله عز وجل أن تكون خالصة لوجهه الكريم، وأن يجمعني وإياه وجميع المتحابين فيه يوم القيامة على منابر من نور .

إنه صاحب الأدب والسمت والخلق الرفيع، أبو البراء هاني عبده مصلح شعلان "سلمان الصنعاني" المعروف في أفغانستان بـــ "جليبيب الإبي".

من مواليد بلاد الحرمين –الرياض–، يمني الأصل من ولاية إب – بعدان.

انتقل من بلاد الحرمين مع عائلته في وقت مبكرٍ من عمره إلى صنعاء واستقر فيها بالتحديد في حي الســـتين جوار مسجد البركة، وكان يتردد غالباً على مسجد النصر في الحي المجاور ويصلي فيه.

تربى في أسرة محافظة متمسكة بالدين والأخلاق، معروفة بالآداب والفضائل، وتزوج من امرأة صـــالحة – نحسبها كذلك والله حسيبها– وله منها ولد يبلغ من العمر عاماً واحداً وشهرين لم يره منذ ولد إلى أن قتل – رحمه الله–، فقد التحق أخي أبو البراء بإخوانه المجاهدين قبل أن تضع زوجته ولدها "البراء"، وجاءته البشارة به وهو مرابط مع إخوانه في إحدى الولايات.

لم تكن بيني وبين أحد من الإخوة في طريق الجهاد ممن عاشرتهم أُخُوَّةٌ مثل تلك التي كانت بيني وبين أخي أبي البراء، سوى ما كان بيني وبين أخي طلال مَجْرَدْ "غريب الصنعاني"[1] –رحمه الله–، إلّا أن الفترة الأطول والأصعب في أرض الجهاد وما تبع ذلك كانت مع أبي البراء، حيث كانت ثمان سنوات تقريباً، ابتداءً من أول يوم عزمنا فيه على السفر، وبدأنا بالتجهيز له، إلى أن قتل –رحمه الله–.

سأتحدث إن شاء الله عن تلك الفترة بإيجاز :

لم يكن قد مضى على التزامه سوى عام واحد عندما تعرفت عليه، وعام واحد تقريباً لم نفترق يه حتى يسر الله لنا السفر إلى أفغانستان.

وهناك دخلنا معسكرات التدريب، ثم انتقلنا إلى الخط الأول شمال كابل –خط بجرام– بعد مقتل أحمد شاه مسعود وغزوتي نيويورك وواشنطن بأسبوعين تقريباً، ومكثنا هناك إلى أن انسحبنا في السابع والعشرين من شهر شعبان باتجاه جلال أباد بعد انكسار الخط، وصعدنا جبال تورابورا في أول يوم من رمضان من نفس العام.

خلال تلك الفترة كانت تتجلى لي صفات ذلك الشاب الخلوق وتظهر لي فيه صفات أخرى تضاف إلى تلك التي عرفتها ولمستها فيه في صنعاء،وكما قيل إن السفر سمي سفراً لأنّه يُسْفِرُ عن أخلاق صاحبه، وكذلك الشدائد والمحن تظهر معادن الرجال.

لقد وجدت في أخي أبي البراء –رحمه الله– من الصفات: التقوى–أحسبه كذلك والله حسيبه–، ولين الجانب، وحسن العشرة، وسلامة الصدر، وصدق اللهجة، وغض البصر، والرحمة بالمؤمنين، والشدة على الكافرين، وكثير من الأخلاق والصفات الحميدة التي لمسنها ولمسها منه كل من عرفه وعاشره.

لقد كان أخي أبو البراء بهذه الصفات بالنسبة لي خير معين ومساند ومؤانس، وأقتبس هنا من كلام الشيخ عبد الله عزام –رحمه الله– فأقول: كلما ودعت أخاً قتل شهيداً على هذا الطريق –طريق الجهاد– علمت أنني لم أصلح للشهادة بعد؛ لأن للشهداء صفات وأخلاق لم صل إلى بعضها إلى الآن.

[1] – كان أمير العرب في شمال أفغانستان بعد مقتل عبد السلام الحضرمي –رحمهما الله–، وهو من أوائل من قتلوا في قلعة جانكي، لم يتجاوز عمره آنذاك الثالثة والعشرين، ومن رجاحة عقله وحسن تدبيره وتصرفه وقوة شخصيته كان الإخوة يظنون أن عمره فوق الثلاثين.

لقد رفض أخي أبو البراء يوماً من الأيام أن يقبل مني قطعة حلوى صغيرة أردت أن أهديها له ونحن في معسكرات التدريب؛ حيث كانت من المسموح بها في معسكرنا وغير مسموح بها في معسكرهم؛ قائلاً لي: الأمير مَنَعَ؛ ولا يجوز معصية الأمير، مع أنه –رحمه الله– كان يستطيع أن يخذها –كبعضهم– ويكلها ولا يراه أحد.

لقد كان –رحمه الله– من أحرص الناس على الابتعاد عن المحرمات، واتقاء الشبهات، وتجنب المنكرات، ومن أفضل الناس سمعاً وطاعة للأمراء.

أما في جبال تورابورا فكان أخي أبو البراء يتميز بالصبر والجلد؛ حيث كانت تلك الفترة فترة رباط شديد على النفوس، وقد ازدادت شدتها من يوم السابع عشر من رمضان؛ حيث بدأ القصف الأمريكي الجوي المكثف ليلاً ونهاراً، وازداد أكثر فأكثر عندما بدأ المنافقون والمرتدون المأجورون من الأفغان بتشكيل خط أول تحتمي وتتقدم خلفه القوات البرية الأمريكية والأفغانية باتجاه مراكز المجاهدين في الجبال، وكان أبو البراء –رحمه الله– من القليل الذين نزلوا من الجبال لتشكيل خط أمامي دفاعي أمام قوات العدو لمنعها من التقدم، وقد عانت تلك المجموعة معاناة شديدة بسبب شحة الذخيرة والأسلحة، وصعوبة وصول الماء والطعام إليهم، وكثافة القصف الجوي الأمريكي والمدفعي الأرضي الأفغاني .

واستمر الحال على ذلك حتى جاء الأمر بالانسحاب من الأمير العام لتنظيم قاعدة الجهاد الشيخ أسامة بن لادن –حفظه الله– بعد أن اجتمع علينا العالم بأسره، كفارُ عجمه ومرتدو عربه، وانقطعت جميع طرق الإمداد واشتد القصف، وأصبحنا شبه محاصرين من جميع الجهات، وكان ذلك في الثامن والعشرين من شهر رمضان، وتم الانسحاب من جبال تورابورا.

تركنا كل شيء إلّا أسلحتنا، وعزمنا على العودة مرة أخرى إلى أرض الجهاد، وعندما اجتمع الكل في المكان المحدد لبدء الانسحاب، جاءنا رسول من الأمير الذي عُيّن من قِبَلِ الشيخ أسامة قبل الانسحاب ليتولى المهمة، وهو القائد ابن الشيخ الليبي[٢] –رحمه الله–جاء الرسول يقول أن ابن الشيخ يريد مجموعة من الإخوة لا يتجاوز عدد أفرادها العشرة؛ ليعودوا ويشكلوا خطاً وهمياً أمام مجاميع العدو –التي بدأت تتقدم وتتعقب

[٢] – كان أميراً لمعسكر "خلدن" في أفغانستان، قتل في سجون الطاغوت معمر القذافي تحت التعذيب بعد أن تم تسليمه من جوانتنامو إلى ليبيا، كانت هناك محاولة لتهريبه من السجن في باكستان قبل تسليمه للقوات الأمريكية، لكنه رفض وقال: هؤلاء أبنائي –يعني الإخوة المسجونين معه– كيف أتركهم وأهرب؟! فرحمك الله يا أبانا رحمة واسعة.

المجاهدين- لإيقافها وإيهامها أن المجاهدين لا يزالون في مراكزهم؛ حتى يتمكن باقي الإخوة من الانسحاب بأمان، فتطوعت لذلك العمل ولتلك التضحية مجموعة كان أخي أبو البراء أحد أفرادها، عاد معهم بروحٍ معنوية عالية، وإقدام وحب للتضحية، وبقي معهم، وكانت تلك المجموعة آخر المجموعات انسحاباً مع الأمير ابن الشيخ الليبي -رحمه الله-.

واستمر الانسحاب مشياً على الأقدام ثلاثة أيام بلياليهن من دون توقف إلّا لساعات معدودة للنوم، وأغلب الإخوة لم يستطع النوم من شدة البرد؛ لأن الثلوج كانت قد غَطَّت تلك الجبال تماماً .

وفي تلك المعاناة كان أخي أبو البراء -رحمه الله- يبعث في النفس الهمة والصبر والمصابرة؛ لما كان يبدوا عليه من الحلم والسكينة والصبر .

بعد ذلك قدر الله عز وجل أن نقع جميعاً في الأسر بتوجيهات أمريكية ودعم مالي دولي، وخيانة رافضية شيعية باكستانية، باستثناء من قتل أو مات[٣] أو من تمكن من النجاة، وهم قلّة يعدون على الأصابع.

ومن أيدي المرتدين الباكستانيين في باكستان، إلى أيدي الكفار الأمريكيين في قندهار.

من هناك، بدأ نقلُنا إلى معتقل جوانتنامو-مصنع الرجال ومعقل الأبطال أمثال أبي البراء -رحمه الله- الذين سيفتح الله على أيديهم بإذن الله- .

تم نقلنا إلى معتقل جوانتنامو على دفعات خلال خمسة أشهر تقريباً، وكان أخي أبو البراء ممن نقل مع المجموعات الأولى، وكنت أنا مع آخرها، فكانت المدة بيني وبينه قرابة الشهرين.

قال لي أحد الإخوة الكويتيين بعد أن وصلت إلى جوانتنامو-وكان هذا الأخ مع الدفعة التي سبقتنا بشهرين والتي كان فيها أبو البراء-، قال لي: هاني يحبك في الله!، ثم واصل حديثه قائلاً:كنّا في السجن القديم[٤] لا يخرج أحد منّا للمشي أو الاغتسال؛ من سوء المعاملة المتعمدة من الجنود الأمريكان، فقد كانوا يضعون القيود الحديدية في أيدينا وأرجلنا ثم يدفعوننا بشدة إلى الأمام، ومن يحاول أن يتماسك ويرد جسمه إلى

[٣] - أعني الذين ماتوا أو قتلوا أثناء الانسحاب أو الأسر فقط، أما قبل الانسحاب فهم كثير.

[٤] - السجن القديم الذي نقلت إليه أول المجموعات، وبعد تجهيز المعسكر الجديد تم نقل الجميع إليه.

الوراء لكي لا يسقط؛ كانوا يسحبونه حتى يصل إلى مكان الاغتسال أو المشي؛ فامتنعنا من الخروج، وهذا ما كانوا يريدونه؛ لأن الخروج كان اختيارياً.

يقول الأخ: وعلى الرغم من ذلك كله كنت أرى هاني يخرج معهم يومياً وهو يتألم؛ فأقول له: لا تخرج معهم يا هاني، اجلس مثل باقي إخوانك؛ أنت لست في حاجة إلى ذلك!!، يقول لي الأخ: أتدري بماذا رد عليّ هاني؟ ثم يواصل الأخ قائلاً: رد عليّ قائلاً: أريد فقط أن أطمئن هل وصل "فلان" -يعني العبد الفقير-! أريد أن أراه!!.

وأنا أقول: لن أطمئن حتى يجمعنا الله في دار كرامته وأراك يا أبا البراء .

كان أخي أبو البراء في السجن مثالاً للهمة العالية، والصبر والاحتساب، فبرغم ما كنا نمر به من معاناة شديدة إلّا أنه استطاع بتوفيق من الله حفظ كتاب الله خلال أقل من سنتين حفظاً متقناً، إلى جانب التجويد والتلاوة وحفظ عدد من المتون العلمية.

وكان -رحمه الله- يخفف على إخوانه ويواسيهم بصوته الجميل في الإنشاد تارة،وبكلماته المؤثرة التي كان يكتبها ويلقيها عليهم بين الحين والآخر تارة، وأحياناً بالتمارين والتدريبات الرياضية؛ حيث كان أبو البراء حاصلاً على الحزام الأسود في لعبة "التايكواندو".

لم يمنعه السجن من مواصلة ما كان عليه من الطاعات والعبادات، وخاصة قراءة القرآن ومراجعته، وصيام الاثنين والخميس، وأحياناً صيام يوم وإفطار يوم، بل داوم على ذلك بعد خروجه من السجن حتى قُتل -رحمه الله- .

كنت دائماً أبشره في السجن بالرؤى أننا سنخرج في يوم عيد، فخرجتُ قبل عيد الأضحى بخمسة أيام -قبل خروج أبي البراء بتسعة أشهر تقريباً- وخرج هو بعدي في ليلة عيد الفطر المبارك من السنة الثانية.

كان أكثر ما يهمه ويشغل باله -رحمه الله- بعد خروجه من السجن، هو كيف يلتحق بالمجاهدين في أي أرض؟، وكان يسأل دائماً عن المجاهدين في اليمن، وكان يقول لي: إذا وجدت أي طريق إلى أي أرض فيها جهاد فأنا معك، ويؤكد على ذلك مراراً، لقد كان أخي أبو البراء ضعيف البصر، ولكنه كان قوي البصيرة.

وشاء الله عز وجل أن نلتحق بإخواننا المجاهدين في اليمن، وتحقق لي ما كنت أتمنى، وهو أن أواصل هذا الطريق برفقة أخي أبي البراء.

وبعد مرور سنة من خروجنا وبالتحديد في فجر الخميس الثلاثين من ذي الحجة من عام ١٤٣٠هـ كان أخي أبو البراء على موعد مع الشهادة حيث تعرض هو ومن كان معه لقصف جوي أمريكي يمني استهدفهم وهم في إحدى المهمات الجهادية –رحمهم الله–.

لقد كانت حياة أبي البراء –رحمه الله– بعد التزامه بسنة واحدة، كانت كلها في سبيل الله، يتضح ذلك من خلال هذا العرض الموجز لسيرته التي لا يتسع المجال لعرض تفاصيلها.

كتب لي –رحمه الله– في آخر رسالة وصلتني منه قبل مقتله بشهر واحد تقريباً: "أدعُ لي بالشهادة"، وأحسبه صدق الله فصدقه الله.

لقد كنتَ يا أبا البراء ممن باعوا كل شيء إلّا دينهم، وتنازلوا عن كل شيء إلّا مبادئَهم، وتخلوا عن كل شيء إلّا قيمَهم وأخلاقهم.

لقد اختار الناس الحياة طريقاً إلى الموت، أما أنت فاخترت الموت طريقاً إلى الحياة..وأنعم بتلك الحياة..

رحلت إلى جنات عدن وإنها منازلك الأولى وفيها المخيم

ويا أبا البراء:

إن كان قد عزّ في الدنيا اللقاء ففي منازل الخلد نلقاكم ويكفينا

وصلى الله وسلّم وبارك وترحم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ،،،

كتبه/ سيف منصور